اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّادِسُ وَالثَّلاَثُونَ

1 احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 2احْمَدُوا إِلَهَ الآلِهَةِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 3احْمَدُوا رَبَّ الأَرْبَابِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 4الصَّانِعَ الْعَجَائِبَ الْعِظَامَ وَحْدَهُ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 5الصَّانِعَ السَّمَاوَاتِ بِفَهْمٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 6الْبَاسِطَ الأَرْضَ عَلَى الْمِيَاهِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 7الصَّانِعَ أَنْوَاراً عَظِيمَةً، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 8الشَّمْسَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 9الْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 10الَّذِي ضَرَبَ مِصْرَ مَعَ أَبْكَارِهَا، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ، 11وَأَخْرَجَ إِسْرَائِيلَ مِنْ وَسَطِهِمْ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ، 12بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 13الَّذِي شَقَّ بَحْرَ سُوفٍ إِلَى شُقَقٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ، 14وَعَبَّرَ إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِهِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ، 15وَدَفَعَ فِرْعَوْنَ وَقُوَّتَهُ فِي بَحْرِ سُوفٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 16الَّذِي سَارَ بِشَعْبِهِ فِي الْبَرِّيَّةِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 17الَّذِي ضَرَبَ مُلُوكاً عُظَمَاءَ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ، 18وَقَتَلَ مُلُوكاً أَعِزَّاءَ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ: 19سِيحُونَ مَلِكَ الأَمُورِيِّينَ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ، 20وَعُوجَ مَلِكَ بَاشَانَ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ، 21وَأَعْطَى أَرْضَهُمْ مِيرَاثاً، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ، 22مِيرَاثاً لإِسْرَائِيلَ عَبْدِهِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 23الَّذِي فِي مَذَلَّتِنَا ذَكَرَنَا، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ، 24وَنَجَّانَا مِنْ أَعْدَائِنَا، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 25الَّذِي يُعْطِي خُبْزاً لِكُلِّ بَشَرٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 26احْمَدُوا إِلَهَ السَّمَاوَاتِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ.

ليس لرحمته نهاية!

هذا مزمور شكر لله على صلاحه وكثرة مراحمه وقوة عجائبه، يشترك فيه صاحبه مع صاحب مزمور 135 في الدعوة لرفع الحمد للإله الوحيد الحكيم الذي قويت رحمته علي خائفيه. أخطأ بنو إسرائيل وأُخذوا للسبي فظنوا أن رحمة الله عليهم توقفت. ولكنه ردَّ سبيهم فبرهن أن محبته لهم لا تنتهي وأن رحمته عليهم باقية إلى الأبد.

تكرر التعبير «لأن إلى الأبد رحمته» 26 مرة في آيات المزمور الست والعشرين، وهو تكرار التأكيد الذي يذكره المرنم بعد كل ذكرٍ لأعمال محبة الله. «ما أكرم أفكارك يا الله عندي. ما أكثر جملتها. إن أُحصها فهي أكثر من الرمل» (مز 139: 17، 18). وكان بنو إسرائيل يرددون تعبير «لأن الرب صالح. إلى الأبد رحمته» في عبادتهم الجمهورية، وقد ورد هذا التعبير 36 مرة في الكتاب المقدس (26 مرة في مزمورنا، وفي 1أي 16: 34 و2أي 5: 13 و7: 3 وعز 3: 11 ومز 100: 5 و106: 1 و107: 1 و118: 1، 29 وإر 33: 11). كما ورد تعبير «إلى الأبد رحمته» خمس مرات، في 1أي 16: 41 و2أي 7: 6 و20: 21 ومز 118: 3، 4. ومن دراسة هذه الشواهد الكتابية نرى أن ترتيل هذا التعبير جمهورياً كان يوم نقل داود التابوت إلي الخيمة التي خصصها له في حصن داود (1أي 16: 4)، ويوم أكمل سليمان بناء بيت الرب (2أي 5: 13). ويوم انتهى سليمان من صلاة تدشين الهيكل (2أي 7: 3)، ويوم تأسيس الهيكل الثاني (عز 3: 11). وكان الشعب يردُّ بالقول: «إلى الأبد رحمته» علي المرنمين، أو يرد بها اللاويون علي قائد الجوقة. ويجب أن نرددها نحن كلما تأملنا محبة الله التي لا تنتهي، وهو القائل: «محبة أبدية أحببتك، من أجل ذلك أدمت لك الرحمة» (إر 31: 3).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – دعوة للشكر (آيات 1–3)

ثانياً – شكر الله الخالق (آيات 4–9)

ثالثاً – شكر الله المُنقذ (آيات 10–15)

رابعاً – شكر الله المُنعِم (آيات 16–26)

أولاً – دعوة للشكر
(آية 1-3)

1 – شكر الإله الصالح: «احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلي الأبد رحمته» (آية 1). يدعونا المرنم لنقدم الحمد للرب الصالح، مصدر كل صلاح وصانع كل خير، فنقول له: «أنت يا رب صالح وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليك» (مز 86: 5). وهو الرب الذي يطلب الصلاح ويجازي عليه. «مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح» (رو 2: 10).

2 – شكر إله الآلهة: «احمدوا إله الآلهة، لأن إلي الأبد رحمته» (آية 2). تعبَّد الوثنيون لآلهة من خشب وحجر ومعادن، والرب هو الذي أوجد الخشب والحجر والمعادن من العدم، فهو إله الآلهة لأنها مخلوقاته. وهي بائدة وهو الأبدي الأزلي. والرب هو الأعلى والأقوى وسلطانه إلى دور فدور. أثناء السبي البابلي أقام الملك داريوسُ دانيالَ رئيساً لوزرائه، فأخذ رجال المملكة يفتشون عن شكوى ضد دانيال، ولم يجدوا فيه علَّةً إلا من جهة إلهه، فوشوا به إلى الملك، وطرحوه في جب الأسود. فقال الملك لدانيال: إلهك الحي الذي تعبده دائماً هو ينجيك. وباكراً عند الفجر أُصعد دانيال من الجب ولم يوجد فيه ضرر لأنه آمن بإلهه. ثم كتب الملك داريوس إلى كل الشعوب: «مِن قِبلي صدر أمر بأنه في كل سلطان مملكتي يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال، لأنه الإله الحي القيوم إلى الأبد، وملكوته لن يزول وسلطانه إلى المنتهى» (دا 6: 26).

3 – شكر رب الأرباب: «احمدوا رب الأرباب لأن إلى الأبد رحمته» (آية 3). بمعنى أن له السيادة على كل صاحب سلطان، وله يخضع كل سلطان في السماء والأرض. هناك أرباب مثل رب البيت، ورب العمل، أما الرب فهو رب هؤلاء جميعاً. وهناك ملوك ورؤساء وأصحاب سلطان وسيادة، أقامهم الرب، وأوصانا أن نخضع لهم، وأمرهم بالخضوع له، لأنه سيدهم جميعاً «قلب الملك في يد الرب كجداول مياه. حيثما شاء يميله» (أم 21: 1) «لأن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما» (جا 5: 8). وهو يقول: «أليس أنا الرب ولا إله غيري؟ إله بار ومخلِّص. ليس سواي. التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض، لأني أنا الله وليس آخر.. لي تجثو كل ركبة، يحلف كل لسان» (إش 45: 21–23).

ثانياً – شكر الله الخالق
(آيات 4-9)

1 – الخالق الوحيد: «الصانع العجائب العظام وحده» (آية 4). هو الأزلي صانع الكون العجيب وحده عندما لم يكن هناك سواه. «كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو 1: 3). وهو وحده الذي صنع عجائب في أرض مصر ليحرر بني إسرائيل المأسورين بيده الرفيعة. ولا زال سلطانه الإلهي فاعلاً دائماً في أرضنا. غزا الإنسان الفضاء وحتى كتابة هذه السطور وصل إلي القمر، ولا يزال يطمح إلى أبعد، لكنه لم يحقق هذا إلا باستخدام القوانين الطبيعية التي وضعها الله! وستظل عصا الله تلتهم عصي البشر، حتى لو تمكنوا بسحرهم أن يحولوها إلى حيات، فإن الرب هو الذي أعطاهم عقولاً يتفوقون بها (خر 7: 8–13). «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء! لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً؟.. لأن منه وبه وله كل الأشياء» (رو 11: 33–36). وهو الأبدي الذي لا يزال يصنع معنا المعجزات،

وعنده للموت مخارج (مز 68: 20)، فكم يشفي من مرض، وينقذ من عدو، وينصر على خطية ليؤهلنا لشركة ميراث القديسين في النور (كو 1: 12).

2 – الخالق الحكيم: «الصانع السموات بفهم» (آية 5). ما أوضح الحكمة الإلهية وراء الخلق كله. لا شيء يتخطى حدوده. كل شيء منضبط بدقَّة. أعان الله الإنسان ليخترع أشياء كثيرة، ولكن لكل ما يصنعه الإنسان عيوب ونقائص تحتاج إلى تعديل وتبديل وصيانة. أطلق الإنسان أقماراً صناعية في الفضاء ولكنه دوماً يعدِّل مساراتها. لكن «الرب بالحكمة أسس الأرض. أثبت السموات بالفهم. بعلمه انشقَّت اللجج، وتقطر السحاب ندى» (أم 3: 19، 20). تتضح حكمته لنا عندما نستعمل التليسكوب لنرى الأشياء البعيدة، كما تتضح لنا عندما نستعمل الميكروسكوب لنرى الأشياء الدقيقة، فتشهد العظائم الكبيرة لحكمته كما تشهد لها دقائقها وتفاصيلها الصغيرة. وفي حياتنا اليومية نراه يدبر لنا الأمور الكبيرة كما يدبر صغائر الأمور «الإله الحكيم الوحيد مخلصنا، له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور» (يه 25).

3 – الخالق المقتدر: «الباسط الأرض على المياه» (آية 5). «في البدء خلق الله السموات والأرض.. وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه.. وقال الله ليكن جلَدٌ في وسط المياه، وليكن فاصلاً بين مياه ومياه.. وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك» (تك 1: 1، 2، 6، 9) . كانت المياه تغطي كل شيء إلى أن أمر الخالق والآمر الوحيد، فانحسرت المياه وظهرت الأرض، وجعل للمياه حدوداً لا تتخطاها إلا بأمره. ولما زادت خطايا البشر وامتلأت الأرض ظلماً، أهلكها بالطوفان. أما نوح فوجد نعمة في عيني الرب، فقال له: نهاية كل بشر قد أتت أمامي. اصنع لنفسك فلكاً. وجاء الطوفان فتعاظمت المياه على الأرض مئة وخمسين يوماً. ثم أجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه ثم نشفت عن الأرض (تك 6–8). أهلك الرب سكان الأرض بسبب ظلمهم، ما عدا ثمانية نفوس هم نوح وزوجته، وأولاده الثلاثة وزوجاتهم. ثم «قال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان» (تك 8: 21).

4 – الخالق المنير: «الصانع أنواراً عظيمة.. الشمس لحكم النهار.. القمر والكواكب لحكم الليل» (آيات 7–9). «الله نور وليس فيه ظلمة البتة» (1يو 1: 5) وبنوره نرى نوراً (مز 36: 9). وحين كانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة «قال الله: ليكن نور فكان نور.. لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل.. فعمل الله النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل» (تك1). هذا هو الإله الحكيم الذي كل ما شاء بحكمة صنع، ولم يترك شيئاً للصدفة. جعل الشمس لحكم النهار لتستيقظ مخلوقاته لأداء ما كلفها به من عمل، وجعل القمر لحكم الليل فيه يعطي حبيبه نوماً (مز 127: 2). «الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها.. لم يترك نفسه بلا شاهد. وهو يفعل خيراً، يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة، ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً» (أع 14: 15، 17). وهو يشرق على كنيسته بنوره فيُرى عليها مجده، ويقول لها: «قومي استنيري لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك.. فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك» (إش 60: 1–3).

ثالثاً – شكر الله المنقذ
(آيات 10-15)

1 – معجزة الخروج: «الذي ضرب مصر مع أبكارها.. وأخرج إسرائيل من وسطهم.. بيد شديدة وذراع ممدودة» (آيات 10–12). رفع المرنم الحمد للرب المنقذ وذكر وأخبر كم صنع الرب بشعبه ورحمهم من يد مسخريهم، بأن: ضرب، وأخرج بيد شديدة. أحب الرب شعبه وأراد أن ينقذهم من الذل، كما أظهر حبه لفرعون فأطال أناته عليه، ومنحه عدة فرص للرجوع عن فكره الخاطئ، وأنذره بعجائب عظيمة. ولما أبى وعاند ضرب الرب مصر وأبكارها من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة (خر 12: 29). ضرب الظالم ليطلق المظلوم حراً. «ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلِّص، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع.. فخلصت ذراعه لنفسه، وبرُّه هو عضده» (إش 59: 1، 16).

2 – غرق العدو: «شق بحر سوف إلى شقق.. وعبَّر إسرائيل في وسطه.. ودفع فرعون وقوَّته في بحر سوف» (آيات 13–15). شقَّ البحر، وعبَّر شعبه، وأغرق الظالم. يأمر البحر والرياح فتطيعه، فصار البحر سور ماء عن اليمين وعن اليسار ليعبر شعبه وسط اللجج. وعندما جاء العدو كنهر دفعته نفخة الرب (إش 59: 19). شقَّ الصخر فأخرج ماءً يروي ظمأهم. «بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة» (إش 63: 9). ودفع القوي وجيشه في البحر ليعبر الضعيف ويقول: بطل أنا، لأن الرب قوته (يوء 3: 10). ولم يكن شعبه تقياً ولا كاملاً، ولكنه في محبته يقول له:«لا تخف لأني فديتُك. دعوتُك باسمك. أنت لي. إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيت في النار فلا تُلذع، واللهيب لا يحرقك» (إش 43: 1، 2). وصار لحادثة الخروج العظيمة تذكار سنوي في الاحتفال بالفصح. وفي المسيح لم نعد نحتفل بالفصح، بل بالعشاء الرباني، فنتقدم إلى مائدة الرب وهو يقول لنا: «خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم». ثم نتناول الكأس ونسمعه يقول: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا.. لذكري» (1كو 11: 24، 25). نحن نحتفل بالمسيح فصحنا الذي ذُبح لأجلنا (1كو 5: 7)، ونقدم الشكر له لأنه عبر بنا إلى شاطئ الأمان.

رابعاً – شكر الله المُنعِم
(آيات 16-26)

1 – أنعم بالإرشاد: «الذي سار بشعبه في البرية» (آية 16). فهو ملكهم الذي سار أمامهم، وبمهارة يديه هداهم (مز 78: 72). كان يظللهم نهاراً ويرشدهم بعمود سحاب، وكان يضيء لهم ويدفع الوحوش عنهم ويهديهم ليلاً في عمود نار «الرب حافظك.. لا تضربك الشمس في النهار ولا القمر في الليل.. الرب يحفظ خروجك ودخولك» (مز 121: 5، 8). عالهم في البرية أربعين سنة. أطعمهم المن يومياً فلم يجوعوا، ورواهم بماءٍ خرج من الصخر. وقال لهم: «سرت بكم أربعين سنة في البرية، لم تبل ثيابكم عليكم، ونعلك لم تبل على رجلك» (تث 8: 4 و29: 5).

2 – أنعم بالدفاع: «الذي ضرب ملوكاً عظماء.. وقتل ملوكاً أعزاء.. سيحون ملك الأموريين.. وعوج ملك باشان» (آيات 17–20). هيّأ الرب لشعبه في القفر سبيلاً، وتقدمهم من الأمام وسترهم من الخلف، وضرب فرعون العظيم حتى سمح بخروجهم من أسر عبوديته. ثم ضرب ملوكاً عظماء ليقدروا أن يعبروا إلى أرض

الميعاد، وقاتل عنهم ملوكاً ذوي بأس، مثل سيحون ملك الأموريين «ضربه إسرائيل بحد السيف، وملَك أرضه من أرنون إلى يبوق إلى بني عمون» (عد 21: 24)، ومثل عوج ملك باشان «قال الرب لموسى لا تخف منه لأني قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه» (عد 21: 34).. ولا زال شعب الرب يجتاز برية روحية، تحيط به التجارب، ويواجه معاندين، لكنه يثق في صدق الوعد: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر 14: 14). ويليق بالمؤمنين أن يتبعوا الوصية الرسولية: «البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس» (أف 6: 11).

3 – أنعم بالميراث: «أعطى أرضهم ميراثاً.. ميراثاً لإسرائيل عبده» (آيتا 21، 22). أباد الرب أعداءه الذين يعبدون الأصنام، وأهلك أعداء شعبه وانتزع منهم الأرض التي هو مالكها «للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها» (مز 24: 1)، وأعطاها ميراثاً لشعبه الذي يعبده. وفي لغة الإنجيل ينعم الله على المؤمنين بالتبني، فتفارقهم روح العبودية «والروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله، ووارثون مع المسيح» (رو 8: 16، 17)، «ميراثاً لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات» (1بط 1: 4).

4 – أنعم بالحرية: «الذي في مذلتنا ذكرنا.. ونجانا من أعدائنا» (آيتا 23، 24). يطلب المرنم من شعبه أن يحمدوا الإله الذي لا ينعس ولا ينام، والذي مدَّ يده ونجاهم من ذلهم. يقول: «ذكرنا» وهل الرب ينسى «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك» (إش 49: 15). وكثيراً ما يعاني المؤمنون من الذل، ولكنهم يدركون معنى القول: «بالإيمان موسى.. أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون، مفضِّلاً بالأحرى أن يُذل مع شعب الله.. حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينتظر المجازاة» (عب 11: 24–26). ولهذا لم ينزعج الشهداء من ذل الاستشهاد، بل انزعج الذين قتلوهم، وصارت دماء الشهداء بذار الكنيسة، التي تنمو مثل عليقة تتوقد بالنار ولم تكن تحترق (خر 3: 2).

على أن الذل الأكبر الذي ينجينا الرب منه هو ذل الخطية، لأن من يعمل الخطية هو عبد لها (يو 8: 34). يذكر الله الخاطئ الهالك ويفتش عليه حتى يجده. هذا ما فعله المسيح مع اللص التائب الذي قال: «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك». فأجابه: «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو 23: 42، 43). وكل من يُقبل إليه لا يُخرجه خارجاً (يو 6: 37).

5 – أنعم بالطعام: «الذي يعطي خبزاً لكل بشر.. احمدوا إله السماوات» (آيتا 25، 26). لا ينسى الرب خليقته لأنها صنعة يديه، فيعتني بها ويقوتها ويعطيها خبزاً يُشبعها «أعين الكل إياك تترجى، وأنت تعطيهم طعامهم في حينه. تفتح يدك فتُشبع كل حي رضى» (مز 145: 15، 16). وقد علَّمنا أن نصلي «أبانا الذي في السموات.. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم» (مت 6: 9–13).

على أن الطعام الأسمى الذي ينعم علينا به هو غذاء الروح، فقد قال: «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبعون»، وقال: «ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم.. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (يو 6: 32، 33، 51).

«احمدوا إله السماوات، لأن إلى الأبد رحمته».

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ

1 عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا. بَكَيْنَا أَيْضاً عِنْدَ مَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ. 2عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسَطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا. 3لأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلَنَا الَّذِينَ سَبُونَا كَلاَمَ تَرْنِيمَةٍ، وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحاً: «رَنِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيَوْنَ».

4كَيْفَ نُرَنِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟ 5إِنْ نَسِيتُكِ يَا أُورُشَلِيمُ تَنْسَى يَمِينِي – لِيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنَكِي إِنْ لَمْ أَذْكُرْكِ! إِنْ لَمْ أُفَضِّلْ أُورُشَلِيمَ عَلَى أَعْظَمِ فَرَحِي!

7اُذْكُرْ يَا رَبُّ لِبَنِي أَدُومَ يَوْمَ أُورُشَلِيمَ، الْقَائِلِينَ: «هُدُّوا هُدُّوا حَتَّى إِلَى أَسَاسِهَا». 8يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! 9طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!

البكاء عند أنهار بابل

يروي هذا المزمور حالة الشعب المسبي في بابل نتيجة انحراف مملكة يهوذا عن العبادة الحقيقية، فقد عبد بعض أهلها الوثن، وخلط البعض الآخر عبادة الله بعبادة الوثن. أما الأتقياء فكانوا قِلَّة لم يستمع أحدٌ لنصحهم. وكم أطلق الأنبياء صرخات التحذير، ولكن السامعين لم يهتموا بإصلاح طرقهم، بل سخروا من الوعظ، فسمح الله للملك نبوخذنصر ملك بابل عام 586 ق م أن يسبيهم وأن ينهب محتويات هيكل سليمان ويخربه.. وفي أثناء سنوات السبي ضعفت مملكة بابل وفقدت استقلالها، بينما قويت مملكة فارس. وبعد سبعين سنة في السبي حقَّق الله وعده الذي تنبأ به إرميا بعودة شعبه، فأمر كورش ملك فارس بعودة بني إسرائيل إلى بلادهم، وردَّ لهم ما سلبه نبوخذنصر من محتويات الهيكل، وأمرهم أن يعيدوا بناءه بمساعدة من الإمبراطورية الفارسية، على أن يصلّوا لإلههم أن يبارك حياة كورش ومملكته. ورجع بنو إسرائيل ومعهم الأوامر بإعادة البناء بمواد من مخازن الملك شخصياً، فصُدموا لما رأوا خراب البلاد الشامل، وحالة الفقر السائدة لمن بقوا فيها، ومقاومة الأعداء الذين سكنوا البلاد وتعطيلهم بناء هيكل الرب.

والأغلب أن المرنم كتب هذا المزمور عقب عودته من السبي مباشرة، فكتب فاتحة مزموره عن سنوات السبي الحزينة بصيغة الماضي (آيات 1–3) وختم مزموره بطلب المزيد من الويلات على بابل (آيات 7–9).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – أحزان السبي (آيات 1–3)

ثانياً – ذكريات أورشليم (آيات 4–6)

ثالثاً – عقاب العدو (آيات 7–9)

أولاً ـ أحزان السبي
(آيات 1-3)

1 - المرنم الذي لم يفرح: «على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون» (آية1). كانت أرض كنعان تلالاً يرويها المطر، أما أرض بابل فكانت ترويها أنهار كثيرة، منها دجلة والفرات ونهر خابور (الذي أقام عنده النبي حزقيال– حز 1: 1). عند تلك الأنهار جلس المسبيون بعيداً عن الناس، كما يجلس النائحون (إش 47: 1، 5)، يجترون ذكرياتهم الحزينة، وهم يغتسلون في مياه الأنهار حسب مطالب الشريعة، استعداداً لإقامة فروض

عبادتهم، لأنهم كانوا عاجزين عن بناء مجمع يتعبدون فيه (كما حدث في ما بعد في مدينة فيلبي أع 16: 13). وكانت الشقَّة بعيدة بينهم وبين وطنهم حيث كان هيكل سليمان العظيم، الذي طالما رنموا وهم يصعدون إليه: «هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً.. لأنه هناك أمر الرب بالبركة» (مز 133).

وأثارت الذكريات الشجون، فجلسوا يتذكرون ويبكون، وهم يقارنون أحوالهم في بابل بأحوالهم في أرض آبائهم وهيكل إلههم، حيث كانت تجري عبادتهم. وفي إحساس قوي بالذنب، وخوف من أن الرب قد رفضهم، انسابت دموع حزنهم مع انسياب مياه النهر، واختلطت دموع توبتهم بالمياه التي كانوا يغتسلون بها للتطهير، وتضرعوا لله طالبين العودة إلى أرض الموعد.. وهذا حال كل من يبتعد عن الرب وبيته، وهو حال كل من عطش فشرب ماءً ملحاً، وجاع فأكل الخرنوب الذي تأكله الخنازير في الكورة البعيدة. ولكن شكراً للإله الصالح الرؤوف الرحيم الذي يقبل توبة الخاطئ الراجع إليه. «فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب 4: 16).

2 – الأعواد التي لم تعزف: »على الصفصاف في وسطها علَّقنا أعوادَنا» (آية 2). كانت أشجار الصفصاف الباكي تنمو بجوار الأنهار. وعندما جلس المسبيون تحتها لم ينتبهوا إلى جمالها، ولا لاحظوا أوراقها الخضراء المدلاة تظللهم، ولا أحسوا بنسمة هواء النهر تخفف من لهيب دموعهم، بل رأوا حبات الندى وكأنها دموع تشاركهم بكاءهم وأحزانهم. وعندما علا صوت بكائهم أهملوا أعوادهم، فعلقوها على الأغصان. وتعليق الأعواد أفضل من تحطيمها كما يفعل الإنسان الذي ييأس فيحطم مصدر فرحه، أو يحطم نفسه، أو أقرب الناس إليه. كما كان تعليقها أفضل من الغناء بمصاحبتها للوثن. وهذا يعني أنهم لم يفقدوا رجاءهم، فقد كانوا «مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين. متحيرين لكن غير يائسين. مضطهدين لكن غير متروكين. مطروحين لكن غير هالكين» (2كو 4: 8، 9). علقوا أعوادهم لأنها ذكرى مجد تسبيح قديم في الهيكل الأول، ولابد أن تكون لهم فرصة استخدامها والغناء عليها من جديد تسبيحاً للرب قائلين: «بمراحم الرب أغني إلى الدهر. لدورٍ فدورٍ أخبر عن حقك بفمي» (مز 89: 1).

3 - الترنيمة التي لم ترتَّل: «لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة، ومعذِّبونا سألونا فرحاً قائلين: رنِّموا لنا من ترنيمات صهيون» (آية 3). في أرض الهوان والغربة كانت الأحزان تملأ قلب المسبي الغريب فتسيل دموعه، وتمتلك الذكريات الماضية وجدانه، وإذا بالجاني المُسخِّر يسأله أن يستخدم مقدساته ويترنم بتسابيح إلهه ليسليه! لقد كان الطلب قاسياً لأنه من عدو شامت، هازئ بالمقدسات. لم يكتفِ الغزاة بما فعلوه ببني إسرائيل من نهب وسلب وتدمير، وبما أهانوهم وأذلوهم به في الغربة، فأضافوا بطلبهم الجديد هذا ذلاً جديداً.. لعلهم ظنوا أن «يهوه» وثن يشبه آلهتهم، لم تعُد لديه القدرة أن يساعد عابديه. وهم يجهلون أن هذا الإله العظيم قصد بسنوات السبي أن يتوِّب شعبه إلى الأبد عن عبادة الوثن. وهو ما حدث بالفعل بعدما رأى بنو إسرائيل الفساد المرتبط بالعبادة الوثنية، فكرهوا حتى أن يسمعوا عنها، وفطمهم اختبارهم المؤلم في بابل فطاماً نهائياً من عبادة الوثن. ويسمح الرب بأن يسقينا كأساً مراً ليبعدنا عما هو أسوأ، ويبدد مباهجنا الأرضية لكي لا يحرمنا من بركات أبدية.

ثانياً ـ ذكريات أورشليم

(آيات 4-6)

1 – الترنيم في أورشليم: »كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة؟» (آية 4). يذكر المرنم جوقة الترنيم العظيمة التي طالما سبحت الرب بمزامير داود في هيكل سليمان، فملأت قلوب العابدين خشوعاً وشكراً لله. فلما طُلب من اليهود أن يرنموا ترنيمة صهيون في الأرض الغريبة استنكروا الطلب أن يرتلوا بعيداً عن أورشليم، لأنهم اعتبروا هذا العمل خيانة لديانتهم وبلدهم، لأن تراتيل الرب كانت مرتبطة عندهم بالمكان المقدس الجليل.

ويقول بعض الناس اليوم: «كيف نرنم؟» لأسباب غير السبب الذي ذكره المرنم، فالبعض لا يرنم لأنه مشغول بالأمور المادية، والبعض الآخر يخجل أن يرنم خارج مكان العبادة. أما التقي فيشترك مع بولس وسيلا في الترنيم والصلاة حتى لو كان في السجن الداخلي (أع 16: 24، 25)، ويقول: «أغني للرب في حياتي. أرنم لإلهي ما دمت موجوداً، فيلذ له نشيدي، وأنا أفرح بالرب» (مز 104: 33، 34). وهذا ما فعله زنوج أمريكا الذين خطفهم تجار العبيد من أفريقيا وباعوهم ليؤدوا أقسى الأعمال وأصعبها، فوجدوا تعزياتهم في الرب، وكتبوا ترانيم روحية عميقة المعاني معروفة باسم «ترانيم الزنوج الروحية» تُرجم بعضها إلى العربية، مثل ترنيمة «نحن نرقى سلم يعقوب». فكانوا في آلامهم يرون السلم المنصوبة في الأرض ورأسها يمس السماء وملائكة الله صاعدة ونازلة عليها (تك 28: 12)، وكأنهم يقولون: «لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً. لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر» (رو 8: 24، 25). وكما رنم زنوج أمريكا في أقسى الظروف يرنم كل من اختبر خلاص المسيح «أعلى أحد بينكم مشقات؟ فليصلِّ. أمسرورٌ أحد؟ فليرتل» (يع 5: 13) في كل مكان، لأن كل الأرض أرض الرب، وكل مكان نرنم فيه يصبح هيكلاً مقدساً له. ويعيش المؤمن بالمسيح اليوم وسط مجتمع معادٍ مقاوم معاند، فإن طُلب منه أن يرنم ترنيمة الرب سيرنمها دون أن يفقد سلامه الثابت، لأنه مؤسس على الصخر. فرنِّم للرب، وجاوب كل من يسألك عن سبب الرجاء الذي فيك (1بط 3: 15).

2 – أورشليم التي لا تُنسى: «إنْ نسيتُك يا أورشليم تنسى يميني. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك. إن لم أفضِّل أورشليم على أعظم فرحي» (آيتا 5، 6). لأورشليم مكانة خاصة في قلب بني إسرائيل، لأنها حصن داود ومكان إقامة تابوت العهد، وموضع تقديم الذبائح، فلا يمكن لمؤمن تقي أن ينساها، لأنه لو نسيها ينسى غفران الله ورحمته ومواعيده ومحبته، ولا يرى إلا غضب الله وعقابه. ومعنى قول المرنم هنا أنه إن نسي أورشليم فلتعجز يمينه وليُصبِها الشلل، فلا يستطيع أن يزرع أو يحصد، ويصبح في عوز وفاقة. وليعجز عن حمل العود للعزف والغناء، وليُصبِه الخرس فيتوقَّف عن التسبيح والشدو، فيصيبه الحزن والكمد. ويقول إن هذه الكوارث في يمينه ولسانه ستصيبه إن لم يعطِ أورشليم الأولوية في حياته ويفضِّلها على أعظم أفراحه. ولا بد أنه كان يذكر قول الرب: «لأن شعبي قد نسيني. بخروا للباطل، وقد أعثروهم في طرقهم، في السبل القديمة، ليسلكوا في شُعب، في طريقٍ غير مُسهَّل» (إر 18: 15).

وعندما ينسى المؤمن بيت الرب وتعظيمه، سواء في السلوك أو الكلام يتعرض لآلام جسدية وفكرية وروحية نتيجة الإحساس بالذنب. فكيف ننسى نحن اليوم علية العشاء الرباني، وبستان جثسيماني، وتلَّة الجلجثة، وصليب الفداء والخلاص، والقبر الفارغ، ويوم الخمسين؟ وكل مؤمن تقي لا ينسى ربَّه وعبادته يسمعه يقول: «لأنه تعلق بي أنجيه. أرفِّعه لأنه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق أنقذه وأمجِّده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي» (مز 91: 14–16).

ثالثاً _ عقاب العدو

(آيات 7-9)

1 – عقاب الشامتين: «اذكُر يا رب لبني أدوم يوم أورشليم، القائلين: هدوا هدوا حتى إلى أساسها» (آية 7). أدوم هم نسل عيسو أخي يعقوب وأولاد عم بنى إسرائيل، وهم في الوقت نفسه جيرانهم. وبالرغم من القرابة الجسدية والجغرافية كانوا دائماً يظهرون لبني إسرائيل الكراهية البالغة، والشماتة في كل كارثة تحل بهم. وعندما «انهالت حجارة القدس في رأس كل شارع» (مرا 4: 1) حتى بانت أساسات أسوار أورشليم وهيكلها صاح الأدوميون: «هدّوا، هدّوا حتى إلى أساسها» فلا تقوم لها قائمة ثانية. لهذا قال الله لهم: «من أجل ظلمك لأخيك يعقوب يغشاك الخزي وتنقرض إلى الأبد.. فإنه قريب يوم الرب على كل الأمم. كما فعلت يُفعَل بك. عملك يرتد على رأسك» (عوبديا 10، 15).

2 – عقاب المخربين: «يا بنت بابل المُخْرَبة، طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا. طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة» (آيتا 8، 9). يتوقع المرنم خراب بابل جزاءً لها على تخريب أورشليم «لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت 26: 52). ويطوّب من يفعل بها ذلك فيهلكها ويضرب أولادها بالصخرة، ويضرب الصخرة بأولادها، حتى يدمي قلبها ويبلغ ألمها ذروته. ولا شك أن المرنم كان يعاني من جرح غائر، ويطلب المعاملة بالمثل، ويريد أن يرى بعينيه مجازاة الأشرار. ولا شيء يوجع الإنسان قدر آلامه من أجل أبنائه. ولكننا في عهد النعمة، وبروح الصليب، لا نطلب هلاك العدو، بل نطلب له الغفران والتوبة، لأننا لا نكره الخاطئ وإن كنا نكره فعله الخاطئ. ولا نطلب هلاك الخاطئ، بل نطلب انصرافه عن طرقه الرديئة بالتوبة، فنصلي: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا» ونسمع الوصية: «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء.. لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب. فإن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه، لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير» (رو 12: 19–21).

مشكلتان في الأمة اليهودية

1 – مشكلة التمايز، ورفض الآخر: فهم اليهود خطأً أن اختيار الله لهم يعني أنهم الشعب المتميز عن غيره من الشعوب والأعلى فوقهم جميعاً. ولم يدركوا أن الهدف من اختيارهم هو تخصيصهم للكرازة لكل الأمم، كما قال الله لهم: «إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خر 19: 5، 6). ولكنهم لم يفهموا هدف هذا الاختيار، فتعالوا على سائر الشعوب، واحتفظوا بكلمة الله لأنفسهم، فكانوا (مثلاً) لا يعاملون السامريين (يو 4: 9)، ورفضوا أن يشترك معهم غيرهم من الشعوب في بناء هيكل أورشليم (عز 4: 2)، ولم يكونوا الكارزين للعالم. لقد نسوا وصية «تحب قريبك كنفسك» (لا 19: 18) واستبدلوها بقولة «تحب قريبك، وتبغض عدوك» (مت 5: 43).

2 – مشكلة ارتباط العبادة بمكان واحد: هو هيكل أورشليم الذي تُقدَّم فيه وحده الذبيحة، ولو أنه كانت هناك مجامع كثيرة للتعبُّد فقط. وبعد خراب الهيكل توقف تقديم الذبيحة لأن الهيكل لم يعُد موجوداً. وقد عبَّرت السامرية عن هذه الفكرة عندما سألت المسيح: «آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي

أن يُسجد فيه». فأجابها: «يا امرأة، صدقيني أنه تأتي ساعة، لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون لـــلآب.. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو 4: 20–24).

ونحن نشكر الله الذي أعلن محبته لنا في القول: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 3: 16). أحب الجميع بلا تمييز بين شعب وشعب، وأمة ولسان «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبـــررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو 3: 23، 24).

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّامِنُ وَالثَّلاَثُونَ

لِدَاوُدَ

1 أَحْمَدُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي. قُدَّامَ الآلِهَةِ أُرَنِّمُ لَكَ. 2أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدْسِكَ، وَأَحْمَدُ اسْمَكَ عَلَى رَحْمَتِكَ وَحَقِّكَ، لأَنَّكَ قَدْ عَظَّمْتَ كَلِمَتَكَ عَلَى كُلِّ اسْمِكَ. 3فِي يَوْمَ دَعَوْتُكَ أَجَبْتَنِي. شَجَّعْتَنِي قُوَّةً فِي نَفْسِي.

4يَحْمَدُكَ يَا رَبُّ كُلُّ مُلُوكِ الأَرْضِ إِذَا سَمِعُوا كَلِمَاتِ فَمِكَ، 5وَيُرَنِّمُونَ فِي طُرُقِ الرَّبِّ، لأَنَّ مَجْدَ الرَّبِّ عَظِيمٌ، 6لأَنَّ الرَّبَّ عَالٍ وَيَرَى الْمُتَوَاضِعَ، أَمَّا الْمُتَكَبِّرُ فَيَعْرِفُهُ مِنْ بَعِيدٍ. 7إِنْ سَلَكْتُ فِي وَسَطِ الضِّيقِ تُحْيِينِي. عَلَى غَضَبِ أَعْدَائِي تَمُدُّ يَدَكَ، وَتُخَلِّصُنِي يَمِينُكَ. 8الرَّبُّ يُحَامِي عَنِّي. يَا رَبُّ رَحْمَتُكَ إِلَى الأَبَدِ. عَنْ أَعْمَالِ يَدَيْكَ لاَ تَتَخَلَّ.

شجَّعتني

هذا مزمور شكر وإعلان ثقة في الإله الصالح العادل الذي يُحسن إلى شعبه ويردُّ سبيهم، يتحدث فيه المرنم عن فضل الله عليه أمام كل الشعوب، مؤمناً أنه يستجيب صلاة الفرد والشعب، وأنه أمين لمواعيده، الأمر الذي يجعل ملوك الأرض وشعوبهم يؤمنون بالرب ويحمدونه، لأن مجد الرب عظيم، وهو يحامي عن المظلوم ويخلِّص المتضايق.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يحمد الرب (آيات 1–3)

ثانياً – الملوك يحمدون الرب (آيات 4–6)

ثالثاً – المرنم يرجو الرب (آيتا 7، 8)

أولاً – المرنم يحمد الرب

(آيات 1-3)

في هذه الآيات الثلاث يوجِّه المرنم الحديث إلى الله دون أن يذكر اسم الجلالة، لأنه يرى الله بعين الإيمان، فيرفع له تسابيح الحمد والسجود. وفي هذه الآيات الثلاث يصف نفسه، ويصف إلهه:

1 – صفات المرنم:

(أ) **غيور**: «أحمدك من كل قلبي» (آية 1أ). في غيرته الروحية من كل قلبه يقدم للرب ذبيحة حمد، هي ثمر شفاه معترفة باسمه وفضله، ويفيض قلبه بالعرفان للحي القدوس صاحب الإحسانات التي لا تُعد والعطايا التي لا تُحصى. وكأنه يقول: «ما أكرم أفكارك يا الله عندي! ما أكثر جملتها! إن أُحصها فهي أكثر من الرمل» (مز 139: 17، 18).

(ب) **شجاع**: «قدام الآلهة أرنم لك» (آية 1ب). والآلهة هنا هم عظماء الأرض وقضاتها، أصحاب السلطة الذين يحكمون بين الناس. أمام هؤلاء يشدو المرنم ترنيماته بغير خوف، عالماً أنه «إن كان الله معنا فمن علينا؟» (رو 8: 31). وفي شجاعة يتمثل بالمسيح الذي «قال له بيلاطس: أما تكلمني؟ ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟» فأجاب: «لم يكن لك عليَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق» (يو 19: 10، 11). إنه يقول: «لم أكتم عدلك في وسط قلبي. تكلمتُ بأمانتك وبخلاصك. لم أُخْفِ رحمتك وحقك عن الجماعة العظيمة» (مز 40: 10). فقد قال المسيح: «كل من اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله. ومن أنكرني قدام الناس يُنكر قدام ملائكة الله» (لو 12: 8، 9).

(ج) **متعبِّد**: «أسجد في هيكل قدسك» (آية 2أ). تنحني ركبتا الملك داود في حضرة الملك السماوي، وينحني قلبه في هيكل إلهه في خشية ورهبة لصاحب المُلك الدائم، فقد أخذه من وراء الغنم ونصَّبه ملكاً وثبَّت مملكته وأخضع له شعبه، فلم يجد أفضل من هيكل الرب المقدس يسجد فيه لربِّه في أُنسٍ ومحبة، وهو يقول: «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود! تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي

ولحمي يهتفان بالإله الحي» (مز 84: 1، 2) ثم يدعو الجميع: «هلمَّ نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا، لأنه هو إلهنا، ونحن شعب مرعاه وغنم يده» (مز 95: 6، 7).

2 – صفات الله:

(أ) الله رحيم: «أحمد اسمك على رحمتك» (آية 2أ). يحمل الاسم كل صفات الشخص. ويعلن اسم الرب عن صفاته وجلاله وسلطانه وقدرته ومحبته الظاهرة في رحمته على الخاطئ الهالك، الذي تنازل المسيح إليه ورفعه من الهاوية وأحسن إليه وغفر له، ولم يعُد يحسب عليه خطاياه، بل أبعد عنه معاصيه كبُعد المشرق من المغرب، فقال: «حسنٌ هو الحمد للرب والترنم لاسمك أيها العلي. أن يُخبَر برحمتك في الغداة وبأمانتك كل ليلة» (مز 92: 1، 2).

(ب) الله عادل: «أحمد اسمك على.. حقك» (آية 2أ). الرب أمين وحق وعادل. عندما ظلم الناس المرنم سمع ربُّه شكواه وأنصفه. وعندما أهمله الآخرون ذكره ربُّه وشجعه. وعندما لم يعطوه حقه كافأه جهاراً، لأنه عمل بالنصيحة القائلة: «سلِّم للرب طريقك واتكل عليه وهو يُجري. ويُخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة» (مز 37: 5، 6). «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة، لا جور فيه. صدِّيقٌ وعادلٌ هو» (تث 32: 4).

(ج) الله عظيم: «لأنك قد عظَّمت كلمتك على كل اسمك» (آية 2ب). يمكن أن تُترجم هذه الآية «لأنك قد عظَّمت كلمتك. اسمُك فوق كل شيء». ويمكن ترجمتها كما جاءت في ترجمتنا، فيكون معناها «تحقيق وعودك يا رب فاق كل ما سبق أن أعلنته عن نفسك.. أعمالك الخلاصية سمت فوق كل توقُّعاتنا التي انتظرناها ونحن نتأمل الصفات التي أعلنها اسمُك». إن «قدرته الإلهية قد وهبت لنا ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما (بالمجد والفضيلة) قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة» (2بط 1: 3، 4). «والقادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا. له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع، إلى جميع أجيال دهر الدهور» (أف 3: 20، 21).

و«كلمة الله الحي» هو المسيح الذي أعلن لنا بر الله وكمالاته، وقد عظُم اسمه فوق كل اسم، فتنحني له كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض.

(د) الله مجيب: «في يوم دعوتك أجبتني. شجعتني قوة في نفسي» (آية 3). اختبر المرنم وذاق صلاح الرب، فكانت لديه خبرة الماضي وثقة الحاضر ورجاء المستقبل. لقد دعا الرب فسمعه وأجابه ولم يخذله، فهو المبادر بالقول: «ادعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني» (مز 50: 15). «ويكون أني قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (إش 65: 24). وقد نظن أحياناً أنه لا يسمعنا، فنناديه: «إلى متى تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟» (مز 13: 1) «إليك يا رب أصرخ. يا صخرتي، لا تتصامم من جهتي» (مز 28: 1). ولكن الرب يصغي ويسمع ويُكتَب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوه وفكروا في اسمه (ملا 3: 16). «فإنه ينصفهم سريعاً» (لو 18: 8).

سمع الله المرنم فقال: «شجعتني قوة في نفسي». وهي قوة نفسية مستمدة من استجابة الدعاء، ومن قوة الروح القدس التي تطرد الضعف والتخاذل، فهو روح القوة والمحبة والنصح (2تي 1: 7). إنها القوة المشجعة التي خرجت من المسيح فشفت نازفة الدم (لو 8: 43–48)، وهي القوة التي شجعت بولس عندما صلى ثلاث مرات ليرفع الرب عنه شوكة جسده، فأجابه: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (2كو 12: 9).

ثانياً ـ الملوك يحمدون الرب
(آيات 4-6)

1 – الملوك يرنمون: «يحمدك يا رب كل ملوك الأرض إذا سمعوا كلمات فمك. يرنمون في طرق الرب لأن مجد الرب عظيم» (آيتا 4، 5). انطلق لسان المرنم يعبِّر عما فاض به قلبه، وأعلن كم صنع الرب به ورحمه، وكأنه يهتف مع إرميا: «لا مثل لك يا رب! عظيم أنت وعظيم اسمك في الجبروت. من لا يخافك يا ملك الشعوب؟ لأنه في جميع حكماء الشعوب وفي ممالكهم ليس مثلك» (إر 10: 6، 7). وسمع ملوك الأرض هتافه، ورأوا مجد الرب العظيم في ما أجراه معه، فآمنوا ورنموا لمجد الرب العظيم، كما آمن الملك داريوس الفارسي الوثني بإله دانيال بعد أن رآه ينجيه من الأسود الجائعة، فقال: «مِن قِبَلي صدر أمرٌ بأنه في كل سلطان مملكتي يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال، لأنه هو الإله الحي القيوم إلى الأبد، وملكوته لن يزول وسلطانه إلى المنتهى. هو ينجي وينقذ ويعمل

الآيات والعجائب في السموات وفي الأرض. هو الذي نجى دانيال من جب الأسود» (دا 6: 25-27). «الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله» (رو 10: 17) ولكن «كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟» (رو 10: 14). وكان داود هو ذلك الكارز، الذي فعل ما فعله إشعياء عندما سمع الرب يسأل: «من أرسل ومن يذهب من أجلنا؟» فأجاب: «هأنذا أرسلني» (إش 6: 8). وسمع عظماء الأرض فرنموا للإله العظيم المجيد في القدرة والقوة، الذي اختارهم وأقامهم رؤساء لشعوبهم، ليسلكوا في طرقه المستقيمة، وليحكموا بالعدل، فيكافئهم ببركاته وتأييده ونصره، ويثبت ملكهم ويعطيهم أزمنة سلام ورخاء، فيُرى عليهم مجده.

2- الملوك يخضعون: «الرب عالٍ ويرى المتواضع، أما المتكبر فيعرفه من بعيد» (آية 6). الرب عالٍ في قداسته، وقدرته، ومحبته، وعطاياه. وهو عالٍ في مكانته في قلوب عابديه. وهو على علوه يرى الكون ومن فيه، ويعرف خفايا القلوب فيكافئ المتواضع الذي يقبل كلمة الرب ويحفظها في قلبه، ويسلك في نورها، فتصير سراجاً لرجله ونوراً لسبيله (مز 119: 105)، وتكون ناراً تسيِّج حوله لتحميه. إنه يشبه المسيح في تواضعه إذ أخلى نفسه وأخذ صورة عبد، وولد في مذود، ووضع نفسه حتى الموت، موت الصليب، فرفعه وأعطاه اسماً فوق كل اسم. ويشبه العذراء مريم في تواضعها وهي تقبل بشارة الملاك لها، وتحفظ كلام الرب متفكرة به في قلبها، قائلة: «هوذا أنا أمة الرب.. تعظِّم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي، لأنه نظر إلى اتضاع أمته.. لأن القدير صنع بي عظائم، واسمه قدوس» (لو 1: 38 و46-48).

ومع أن الرب عالٍ يحمده كل ملوك الأرض، إلا أننا نجد من يرفض الخضوع له بسبب كبريائه. والرب يعرف المتكبر من بعيد فلا تخفى كبرياؤه، ويقول عنه: «مستكبر العين ومنتفخ القلب لا أحتمله» (مز 101: 5). «كما أنه يستهزئ بالمستهزئين، هكذا يعطي نعمة للمتواضعين» (أم 3: 34). «يقاوم الله المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (يع 4: 6). وما أجمل أن نسمع النصيحة الرسولية: «تسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (1بط 5: 5) «لأنه هكذا قال العلي المرتفع، ساكن الأبد، القدوس اسمه: في الموضع المرتفع المقدس أسكن، ومع المنسحق والمتواضع الروح، لأحيي روح المتواضعين ولأحيي قلب المنسحقين» (إش 57: 15).

ثالثاً - المرنم يدجو الرب
(آيتا 7، 8)

اختبر المرنم عناية الرب ومعونته في الماضي، واختبر استمرار البركة في حاضره، فامتلأ قلبه بالرجاء واليقين في المستقبل، فأعلن ثقته في العون الآتي من نبع المحبة الذي لا ينضب وفيض الرحمة الذي لا ينتهي.

1- رجاء في الحياة: إن سلكتُ في وسط الضيق تُحيني» (آية 7أ). قال المسيح: «قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق، لكن ثقوا. أنا قد غلبتُ العالم» (يو 16: 33). وقال داود: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء.. أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي. عصاك وعكازك هما يعزيانني» (مز 23: 1، 4) ومن هذا يتضح أن المؤمن يثق أنه إن تضايق فضيقه مؤقت لا يستمر. إنه فقط يسلك فيه، ولا بد أن الله سيخرجه منه إلى الرحب والسعة، ويحيي نفسه وآماله، فيرد نفسه ويهديه إلى سبل البر من أجل اسمه (مز 23: 3) فيقول: «أنت الذي أريتنا ضيقات كثيرة ورديئة، فتعود تحيينا، ومن أعماق الأرض تعود فتصعدنا» (مز 71: 20) وينعش الرب المؤمن كما أنعش يوناثان الجائع بشهد العسل فاستنارت عيناه (1صم 14: 27).

2- رجاء في النجاة: «على غضب أعدائي تمدُّ يدك، وتخلِّصني يمينك» (آية 7ب). غضب العدو قاسٍ كنار مشتعلة تدمر، وكهوَّة سحيقة تبتلع. لكن يد الرب الفاعلة تمتد بالخلاص، كما قال موسى لشعبه: «اذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة» (تث 5: 15). حقاً «لولا الرب الذي كان لنا عندما قم الناس علينا، إذاً لابتلعونا أحياء عند احتماء غضبهم علينا» (مز 124: 2، 3). وهذه اليد الممتدة ضد العدو هي نفسها اليد المنقذة الحانية التي حررت بني إسرائيل من ذل مسخريهم في مصر، وقادتهم أربعين سنة في القفر حتى أبلغتهم الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً.

3- رجاء في الحماية: «الرب يحامي عني» (آية 8أ). توكل المرنم بكل قلبه على الرب ولم يعتمد على قوته (أم 3: 5) وامتلأت نفسه بالثقة أن حياته آمنة في يد الرب القديرة الحامية التي تدافع عنه، فلم يعُد يخاف حتى لو نزل عليه جيش، ولو قامت عليه حرب (مز 27: 3). إنه مطمئن لأن الرب ألبسه السلاح الكامل، وأعطاه سيف الروح الذي هو كلمة الله، فثبت ضد مكايد إبليس (أف 6: 11).

فلم يعُد «يخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير في النهار، ولا من وبإ يسلك في الدجى، ولا من هلاك يفسد في الظهيرة» (مز 91: 5، 6).

4- رجاء في الصُّحبة: «يا رب، رحمتك إلى الأبد. عن أعمال يديك لا تتخلَّ» (آية 8ب). يختم المرنم مزموره بالأمل في صـــحبة الرب له بلا نهاية، فهو معه كل الأيام إلى انقضاء الدهر (مت 28: 20). وعندما ينتهي هذا الدهر يبدأ الدهر الآتي في الحضرة الربانية. والذي بدأ في المؤمن عملاً صالحاً يكمله إلى يوم يسوع المسيح (في 1: 6). ولا يتخلى الرب عن الذين هم له، لأنهم عمل يديه الواثقون في رحمته الأبدية التي لا تهملهم ولا تتركهم. إن اختبارهم يقول: «كنتُ فتى وقد شخت. ولم أرَ صدّيقاً تُخلّي عنه، ولا ذرية له تلـــتمس خبزاً» (مز 37: 25).

«يا رب، رحمتك إلى الأبد»

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالتَّاسِعُ وَالثَّلاَثُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ. مَزْمُورٌ

1 يَا رَبُّ قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي. 2أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. 3مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي ذَرَّيْتَ، وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ. 4لأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةٌ فِي لِسَانِي إِلاَّ وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهَا كُلَّهَا. 5مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ حَاصَرْتَنِي، وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ. 6عَجِيبَةٌ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ فَوْقِي. ارْتَفَعَتْ لاَ أَسْتَطِيعُهَا. 7أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ 8إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. 9إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، 10فَهُنَاكَ أَيْضاً تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ. 11فَقُلْتُ: «إِنَّمَا الظُّلْمَةُ تَغْشَانِي». فَاللَّيْلُ يُضِيءُ حَوْلِي! 12الظُّلْمَةُ أَيْضاً لاَ تُظْلِمُ لَدَيْكَ، وَاللَّيْلُ مِثْلَ النَّهَارِ يُضِيءُ. كَالظُّلْمَةِ هَكَذَا النُّورُ.

13لأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُلْيَتَيَّ. نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي. 14أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَباً. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِيناً. 15لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ، وَرُقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الأَرْضِ. 16رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي، وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا. 17مَا أَكْرَمَ أَفْكَارَكَ يَا اللهُ عِنْدِي! مَا أَكْثَرَ جُمْلَتَهَا! 18إِنْ أُحْصِهَا فَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الرَّمْلِ. اسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكَ. 19لَيْتَكَ تَقْتُلُ الأَشْرَارَ يَا اللهُ. فَيَا رِجَالَ الدِّمَاءِ، ابْعُدُوا عَنِّي. 20الَّذِينَ يُكَلِّمُونَكَ بِالْمَكْرِ نَاطِقِينَ بِالْكَذِبِ هُمْ أَعْدَاؤُكَ. 21أَلاَ أُبْغِضُ مُبْغِضِيكَ يَا رَبُّ، وَأَمْقُتُ مُقَاوِمِيكَ. 22بُغْضاً تَامّاً أَبْغَضْتُهُمْ. صَارُوا لِي أَعْدَاءً. 23اخْتَبِرْنِي يَا اللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. 24وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَاهْدِنِي طَرِيقاً أَبَدِيّاً.

الكمال الإلهي

في هذا المزمور يسبح المرنم الرب الكلي الكمال، العليم بكل شيء، الحاضر في كل مكان، القدوس المنزَّه عن كل خطأ. وهو لا يعالج هذه المواضيع بطريقة فقهية عقلية، بل بأسلوب شخصي يعلن علاقة المرنم القريبة الحميمة بربِّه، فيقول في بداية المزمور إن الله اختبره وعرفه (آية 1)، ويطالب ربَّه في نهاية المزمور أن يختبره ويعرفه (آيتا 23، 24)، فتنفتح عيناه ليرى أي خطإٍ فيه فيبتعد عنه، لأن «السهوات من يشعر بها. من الخطايا المستترة أبرئني.. لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مَرْضيَّة أمامك يا رب، صخرتي ووليّي» (مز 19: 12، 14).

والمؤمن الذي يحب الله يحب أن يرى الله بعين الإيمان في كل وقت، كما يحب أن الله يراه دائماً، فهو يدرك أن عين الله عليه مثل عين أم على طفلها. وقد يتجرَّب التقي أن يهرب من أبيه، لكنه سرعان ما يتذكر أن لا حياة له بدون أبيه، وأنه بدون أبيه لا يقدر أن يفعل شيئاً.

ويخاطب هذا المزمور كل إنسان بعيد عن الله ليقول له إنه لا يمكن أن يهرب من مراقبة الله الحاضر في كل مكان، والعارف بكل أمر، وينصحه بالتوبة التي هي القرار الحكيم. كما أن المزمور يخاطب التقي ويشجعه على حياة تقوى أعمق.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الله كامل المعرفة (آيات 1–6)

ثانياً – الله كامل الحضور (آيات 7–12)

ثالثاً – الله كامل الحكمة (آيات 13–18)

رابعاً – الله كامل القداسة (آيات 19–24)

أولاً _ الله كامل المعرفة

(آيات 1-6)

1 - يعرف الماضي والحاضر: «يا ربُّ، قد اختبرتَني وعرفتَني» (آية 1). عرف الرب ويعرف كل شيء في حياة المرنم الروحية والنفسية والعاطفية والمادية، فهو القائل: «أنا الرب فاحص القلب، مختبر الكلى، لأعطي كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله» (إر 17: 10). فقال له: «جرَّبتَ قلبي. تعهَّدتَه ليلاً. محَّصتَني» (مز 17: 3). إنه يعرف الإنسان كله معرفة كاملة. يعرف شخصه وفكره وقوله وعمله معرفةً مسبَّقةً كاملة. وهذه المعرفة تُخجل المتكبِّر بعلمه، وتحذِّر الخاطئ من التمادي في خطئه، وتجعل التقيَّ يحترس من ارتكاب العصيان. كما أن هذه المعرفة تُدخِل الطمأنينة إلى قلوب أعضاء ملكوت الله لأن ملكهم كامل المعرفة. وهي تطمئن المصلي «لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه» (مت 6: 8).

2 - يعرف السكون والحركة: «أنت عرفت جلوسي وقيامي. فهمتَ فكري من بعيد. مسلكي ومربضي ذَرَّيْتَ، وكلَّ طُرقي عرفتَ» (آيتا 2، 3). يعرف الرب كل سكون المرنم «جلوسي» كما يعرف كل تحرُّكاته «قيامي». وهو في سماواته يعرف كل ما يجول بفكر المرنم وكل ما ينويه. إنه يعرف سَفَره «مسلكي» ومحل إقامته «مربضي» وقد ذرّاه وعرف كل ما فيه كما تذرّي المذراة المحصول فتفصل القمح من التبن. إنه يعرف «كل طرقي» أي كل التحرُّكات.

3 – يعرف الخفيّات: «لأنه ليس كلمةٌ في لساني إلا وأنت يا ربُّ عرفتَها كلَّها. من خلف ومن قدام حاصرتَني، وجعلتَ عليَّ يدَك» (آيتا 4، 5). والكلمة بعد على طرف لسان المرنم يعرفها الرب. إنه يعرف الكلمة التي نُطقت والتي ستُنطَق، ويعرف البواعث على النطق بها والمعاني الكامنة وراءها والقصد منها. إنه قريبٌ من الإنسان، يحاصره من كل جهة مثل أب يثبِّت نظره على صغيره، فيصير الإنسان كمدينة يحاصرها قائد حتى تستسلم له، فيستولي عليها و«يجعل يده عليها». وسيصل التقي إلى قمة السعادة عندما يسلم وجهه لله.

4 – معرفته مذهلة: «عجيبةٌ هذه المعرفةُ فوقي. ارتفعَتْ لا أستطيعُها» (آية 6). ويقف المرنم مذهولاً مندهشاً متعجباً من هذه المعرفة المطلقة. «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء! لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً؟ أو من سبق فأعطاه فيُكافأ؟ لأنَّ منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد. آمين» (رو 11: 33-36).

ثانياً ـ الله كامل الحضور

(آيات 7-12)

1 – حاضر في كل مكان: «أين أذهبُ من روحِك، ومن وجهِك أين أهرب؟ إن صعدتُ إلى السماوات فأنت هناك، وإن فرشتُ في الهاوية فها أنت. إن أخذتُ جناحيِ الصُّبح وسكنتُ في أقاصي البحر فهناك أيضاً تهديني يدُك وتمسكُني يمينُك» (آيات 7-10). روحه القدوس ووجهه ذو الجلال حاضران في كل مكان. إنه ساكن السماء الذي لا يختفي عن عينيه شيء مما على الأرض وما تحت الأرض، ولا يمكن أن يهرب منه إنسان. قال: «إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة، أفما أراه أنا؟ يقول الرب. أما أملأ أنا السماوات والأرض؟ يقول الرب» (إر 23: 24). وقال عن شعبه الخاطئ: «إن نقبوا إلى الهاوية فمن هناك تأخذهم يدي، وإن صعدوا إلى السماء فمن هناك أُنزلهم، وإن اختبأوا في رأس الكرمل فمن هناك أفتِّش وآخذهم، وإن اختفوا من أمام عينيّ في قعر البحر فمن هناك آمر الحيّة فتلدغهم» (عا 9: 2، 3).. ويقول المرنم إنه إن أخذ «جناحي الصُّبح» وجرى بسرعة الضوء من الشرق إلى الغرب، فإن يد الله ستكون هناك هاديةً له، فإن الله «يهفُّ على أجنحة الريح» (مز 18: 10) ويرسل شفاءه على أجنحة الشمس (ملا 4: 2). وإن سكن المرنم في «أقاصي البحر» الأبيض المتوسط، في الجزر البعيدة، فإن يمين الله ستطوله هناك وتمسك به.

ويتمتع الأتقياء بوعد المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم» (مت 18: 20). فيقولون: «فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو 8: 38، 39).

2 – يرى كل شيء: «فقلتُ: «إنما الظلمة تغشاني». فالليلُ يضيءُ حولي! الظلمة أيضاً لا تظلمُ لديك، والليلُ مثل النهار يضيء. كالظلمة هكذا النور!» (آيتا 11، 12). تخترق عينا الله أستار الظلام «وليس خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب 4: 13). «لأن عينيه على طرق الإنسان، وهو يرى كل خطواته» (أي 34: 21). قال له النبي: «عظيمٌ في المشورة وقادر في العمل، الذي عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم لتعطي كل واحد حسب طرقه وحسب ثمر أعماله» (إر 32: 19). حقاً «الله نور، وليس فيه ظلمة البتَّة» (1يو 1: 5) وهو ساكن في نور لا يُدنى منه (1تي 6: 16) والمسيح هو النور الحقيقي (يو 1: 9) وهو نور العالم (يو 8: 12)، وحضوره فعال منير تدركه النفس التقية، وتهرب منه النفس الآثمة، فيصدق قول

المسيح: «وهذه هي الدينونة: أن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيّآت يبغض النور، ولا يأتي إلى النور لئلا تُوبَّخ أعماله. وأما من يفعل الحق فيُقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة» (يو 3: 19-21).

ثالثاً _ الله كامل الحكمة
(آيات 13-18)

1 – حكمته في الخَلْق: «لأنك أنت اقتنيت كُلْيتيَّ. نسجتَني في بطن أمي. أحمدُك من أجل أني قد امتزتُ عجَباً. عجيبةٌ هي أعمالُك، ونفسي تعرفُ ذلك يقيناً» (آيتا 13، 14). اقتنى الرب كليتي المرنم بمعنى أنه ملك مشاعره كلها وعرفها . لقد خلقه بحكمة وإبداع جسداً ونفساً وروحاً، و«نسجه» جنيناً في رحم أمه من ألوان وأشكال وأعضاء مختلفة، فعظامه بيضاء ودمه أحمر! وهو يعرف بدء حياته كما يعرف نهايتها ومصيرها الأبدي. قال له أيوب: «يداك كوّنتاني وصنعتاني كلي جميعاً.. اذكُرْ أنك جبلتَني كالطين.. ألم تصبّني كاللبن وخثّرتني كالجبن؟ كسوتني جلداً ولحماً، فنسجتَني بعظامٍ وعصب. منحتني حياةً ورحمة، وحفظَتْ عنايتُك روحي» (أي 10: 8-12). وفي انذهالٍ يتأمل خلْق الله العجيب، الذي لا يعرف كيف خُلق، ولكنه يعرف أن حكمة الله واضحة من وراء الخَلْق.

2 – حكمته في التخطيط: «لم تختفِ عنك عظامي حينما صُنِعْتُ في الخفاء ورُقِمْتُ في أعماقِ الأرض. رأت عيناك أعضائي، وفي سِفرِكَ كلُّها كُتِبَتْ يومَ تصوَّرْتُ، إذ لم يكن واحدٌ منها» (آيتا 15، 16). حين تكوَّنت عظام المرنم كجنين في رحم أمه كان هيكله العظمي معروفاً عند الله. وعندما رُقِم (أي أُبدِع في الرحم المظلم غير المنظور، الشبيه بأعماق الأرض المظلمة المجهولة) كان واضحاً في نظر الله. كان كل ما يجري له مكتوباً في سفر الله الذي يخطط لحياة كل إنسان بحسب قصده الصالح وإرادته المقدسة، فقد سجَّل الله عنده ماضي الإنسان وحاضره ومستقبله، ولا بد أن تتحقق خطته بحسب حكمته السامية وقدرته السرمدية، وهو يتولى تنفيذ هذه الخطة تحت إشرافه المباشر. «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أف 2: 10) وهو يقول للتقي: «قبلما صوَّرتك في البطن عرفتُك، وقبلما خرجتَ من الرحم قدستُك. جعلتك نبياً للشعوب» (إر 1: 5). «أعلِّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز 32: 8).

3 – حكمته مذهلة: «ما أكرمَ أفكارَك يا الله عندي! ما أكثر جُمْلَتَها! إن أُحصِها فهي أكثرُ من الرَّمل. استيقظتُ وأنا بعدُ معك» (آيتا 17، 18). يتأمل المرنم حكمة الله الفائقة الواضحة في كل نواحي الحياة التي يعرفها والتي يجهلها، فيراها كثيرة جداً! وهو يهتف في انذهال ودهشة وتعجُّب: «ما أكرمَ أفكارَك يا الله!». إنها موضوع تأمله سروره وشكره، لأنها أفكارٌ كبيرة، ومتجدِّدة، وسامية، وعملية، ونافعة، وكريمة سخية. «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون» (مز 36: 7). «ما أعظم أعمالك يا رب وأعمق جداً أفكارك» (مز 92: 5). ولما كانت هذه الأفكار الإلهية كريمة وكثيرة صارت آخر ما يفكر فيه المرنم قبل أن ينام، وأول ما يشغل باله عندما يستيقظ، فيصحو وهو لا زال ماثلاً في المحضر الإلهي «إذا ذكرتك على فراشي في السُّهد ألهج بك» (مز 63: 6). «ولكني دائماً معك. أمسكتَ بيدي اليمنى» (مز 73: 23).

رابعاً _ الله كامل القداسة
(آيات 19-24)

عندما نتأمل كمال معرفة الله وحضوره الدائم في كل مكان، ونعرف أنه كلي الحكمة، نتساءل: كيف يسمح ببقاء الأشرار يرتكبون شرورهم؟ ونسأل مع حبقوق: «لِمَ تريني (يا رب) إثماً وتبصر (أنت يا رب) جوراً، وقدامي اغتصابٌ وظلم، ويحدُث خصام، وترفع المخاصمة نفسها؟» (حب 1: 3). وهنا يجيء الرد على هذه التساؤلات:

1 – القدوس يعاقب الخاطئ: «ليتك تقتلُ الأشرارَ يا الله. فيا رجالَ الدماءِ ابعُدوا عني. الذين يكلِّمونك بالمكر ناطقين بالكذب هم أعداؤك» (آيتا 19، 20). رأى المرنم الشر متجسِّداً في أولئك الأشرار، فطلب قتلهم ليتوقف الشر، ومن قَبله تساءل أيوب: «لماذا تحيا الأشرار ويشيخون، نعم ويتجبّرون قوةً؟ نسلهم قائمٌ أمامهم معهم، وذرّيتهم في أعينهم. بيوتهم آمنة من الخوف، وليس عليهم عصا الله..

يحملون الدف والعود ويطربون بصوت المزمار. يقضون أيامهم بالخير». ثم قال: «في لحظة يهبطون إلى الهاوية» (أي 21: 7-9، 12، 13).

ويطلب المرنم من الأشرار أن يبتعدوا عنه حتى لا يضطهدوه، وليتفادى الاشتراك في أعمالهم الشريرة فينجو من مصيرهم المحتوم، وكأنه يقول: «انصرفوا عني أيها الأشرار فأحفظ وصايا إلهي» (مز 119: 115). وهو يدعوهم «الأشرار» أي الذين تعدّوا الحدَّ الذي رسمه الله لهم، ويدعوهم «رجال الدماء» لأنهم يسفكون دماء المساكين، ويدعوهم «المتكلّمين بالمكر والناطقين بالكذب» ويدعوهم «أعداء الله». فلا غرابة أن يوقع الله بهم عقابه.

ونحن اليوم لا ندعو الله أن يقتل الأشرار، بل أن يتوِّبهم فيتوقَّفون عن ارتكاب شرورهم، فتفرح السماء بخاطئ واحد يتوب (لو 15: 7). وندعوهم بدعوة المسيح: «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» (لو 13: 3، 5).

2 – القدوس يخصِّص المؤمن: «ألا أُبغضُ مبغضيك يا ربُّ، وأمقت مقاوميك. بُغضاً تاماً أبغضتهم. صاروا لي أعداء» (آيتا 21، 22). رأى المرنم في مبغضي الرب ومقاوميه أعداء للرب ومقاومين لملكوته. ولما كان هو ملِكاً للرب وعضواً في ملكوته فقد أعلن انتماءه للرب وخصَّص نفسه للقضايا المقدسة، وأعطى كل اهتمامه لمجد الرب وللتمسُّك بالعهد معه، وجعل شعاره: «المتقلّبين أبغضتُ وشريعتك أحببتُ.. رأيت الغادرين ومقتُّ لأنهم لم يحفظوا كلمتك» (مز 119: 113، 158).

3 – القدوس يطهر المؤمن: «اختبِرني يا الله واعرِفْ قلبي. امتحِنّي واعرفْ أفكاري، وانظُر إن كان فيَّ طريقٌ باطلٌ، واهدِني طريقاً أبدياً» (آيتا 23، 24). يختم المرنم مزموره بطلبة مُخْلصة أن يعلن الرب له أي عصيانٍ كامن في قلبه أو فكره ليهجره، ويسأل الهداية بعيداً عن الطريق الباطل ليسلك الطريق الأبدي، طريق الحياة الأبدية (مز 16: 11) وسبيل البر (مز 23: 3) والسلام (إش 59: 8). إنه يطلب الامتحان الإلهي الذي لا مفرَّ منه، ويسأل الإرشاد عازماً على ألاّ يحيد عنه.

وصلاة طلب التطهير هذه ترغب في التحرُّر من الشر، وهي صلاة شُجاعة مستعدة لتغيير ما يشير الله إليه في العقل الباطن قبل الواعي ويعلن أنه واجب التغيير. والتغيير مكلِّف دوماً. إنه يكلف هجر علاقة دنسة، أو ترك معاشرة رديَّة أو التخلص من كتاب باطل، أو التوبة عن مشاعر سلبية. وثمن هذا الفحص الإلهي هو التوبة عن كل ما يناقض التقوى والإيمان العملي، والتنازل عن الكبرياء، والسعي وراء ما يكلف الله النفس به. إنه الطريق إلى الحياة الفُضلى على أرضنا والحياة الأبدية في محضر الله. إنه طريق من يسمع النصيحة الحكيمة القديمة: «قفوا على الطريق وانظروا، واسألوا عن السُّبل القديمة: أين هو الطريق الصالح؟ وسيروا فيه، فتجدوا راحةً لنفوسكم» (إر 16: 6).

تعالوا نطلب هذا الاختبار الإلهي، ونخضع لكل توجيه سماوي.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالأَرْبَعُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

1 أَنْقِذْنِي يَا رَبُّ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ. مِنْ رَجُلِ الظُّلْمِ احْفَظْنِي. 2الَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ بِشُرُورٍ فِي قُلُوبِهِمْ. الْيَوْمَ كُلَّهُ يَجْتَمِعُونَ لِلْقِتَالِ. 3سَنُّوا أَلْسِنَتَهُمْ كَحَيَّةٍ. حُمَةُ الأُفْعُوَانِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ. سِلاَهْ. 4احْفَظْنِي يَا رَبُّ مِنْ يَدَيِ الشِّرِّيرِ. مِنْ رَجُلِ الظُّلْمِ أَنْقِذْنِي. الَّذِينَ تَفَكَّرُوا فِي تَعْثِيرِ خُطُوَاتِي. 5أَخْفَى لِي الْمُسْتَكْبِرُونَ فَخّاً وَحِبَالاً. مَدُّوا شَبَكَةً بِجَانِبِ الطَّرِيقِ. وَضَعُوا لِي أَشْرَاكاً. سِلاَهْ.

6قُلْتُ لِلرَّبِّ: «أَنْتَ إِلَهِي. أَصْغِ يَا رَبُّ إِلَى صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي. 7يَا رَبُّ السَّيِّدُ، قُوَّةَ خَلاَصِي، ظَلَّلْتَ رَأْسِي فِي يَوْمِ الْقِتَالِ. 8لاَ تُعْطِ يَا رَبُّ شَهَوَاتِ الشِّرِّيرِ. لاَ تُنَجِّحْ مَقَاصِدَهُ. يَتَرَفَّعُونَ. سِلاَهْ. 9أَمَّا رُؤُوسُ الْمُحِيطِينَ بِي فَشَقَاءُ شِفَاهِهِمْ يُغَطِّيهِمْ. 10لِيَسْقُطْ عَلَيْهِمْ جَمْرٌ. لِيُسْقَطُوا فِي النَّارِ وَفِي غَمَرَاتٍ، فَلاَ يَقُومُوا. 11رَجُلُ لِسَانٍ لاَ يَثْبُتُ فِي الأَرْضِ. رَجُلُ الظُّلْمِ يَصِيدُهُ الشَّرُّ إِلَى هَلاَكٍ». 12قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّ يُجْرِي حُكْماً لِلْمَسَاكِينِ وَحَقّاً لِلْبَائِسِينَ. 13إِنَّمَا الصِّدِّيقُونَ يَحْمَدُونَ اسْمَكَ. الْمُسْتَقِيمُونَ يَجْلِسُونَ فِي حَضْرَتِكَ.

أنقذني من أهل الشر

يصوِّر هذا المزمور متاعب مؤمن تقي يحيط به الأعداء ويضطهدونه، ويريدون أن يستميلوه إلى طرقهم الرديئة فيتعثَّر في خطواته الثابتة في طريق الرب. وهو يصرخ طالباً حماية الله وعدالته. واستجاب الرب صلاته فختم مزموره بالإعلان عن طمأنينته.

ويعلمنا هذا المزمور أن هناك حرباً مستمرة بين الخير والشر من خارج الإنسان، كما قال المسيح لأعدائه: «أنتم من أبٍ هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يو 8: 44).. كما أن هناك حرباً تدور دائماً داخل الإنسان «لأن الجسد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكن إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس» (غلا 5: 17، 18).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – مضايقات أهل الشر (آيات 1–5)

ثانياً – طلب الحماية (آيات 6، 7)

ثالثاً – طلب العدالة (آيات 8–11)

رابعاً – طمأنينة المرنم (آيتا 12، 13)

أولاً ـ مضايقات أهل الشر

(آيات 1-5)

1 – مضايقات مزعجة: «أَنقِذني يا رب من أهل الشر. من رجل الظلم احفظني» (آية 1). تضايق المرنم من إزعاج جماعة يسمّيهم «أهل الشر» يقودهم رجل يسمّيه «رجل الظلم». ومع أنهم لم يقتلوه لكنهم أزعجوه، فصرخ إلى الرب الذي أنقذه من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول، فكلم الرب بكلام هذا النشيد وقال: «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إله صخرتي به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي. ملجإي ومناصي. مخلّصي. من الظلم تخلصني. أدعو الرب الحميد فأتخلّص من أعدائي.. الذي يخرجني من بين أعدائي، ويرفعني فوق القائمين عليَّ، وينقذني من رجل الظلم» (2صم 22: 1–4، 49).

2 – مضايقات قتالية: «الذين يتفكرون بشرور في قلوبهم. اليوم كله يجتمعون للقتال» (آية 2). تآمر أعداء المرنم عليه واجتمعوا لمقاتلته. ويقول المسيح عن مثل هؤلاء الأشرار المحاربين العازمين على شرهم والمستمرين فيه: «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم.

اذكروا الكلام الذي قلته لكم: ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم، وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم. لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني» (يو 15: 18–21).

3 – مضايقات كلامية: «سنوا ألسنتهم كحية. حُمة الأفعوان تحت شفاههم» (آية 3). اقتبس الرسول بولس هذه الآية وكتب: «حنجرتهم قبر مفتوح. بألسنتهم قد مكروا. سمّ الأصلال تحت شفاههم» (رو 3: 13). ووصف المرنمون المضايقات الكلامية بقولهم: «فمه مملوء لعنة وغشاً وظلماً. تحت لسانه مشقَّة وإثم» (مز 10: 7). «لسانك يخترع مفاسد، كموسى مسنونة يعمل بالغش» (مز 52: 2). «أسنانهم أسنّة وسهام، ولسانهم سيفٌ ماضٍ» (مز 57: 4)، «سيوف في شفاههم» (مز 59: 7). «الذين صقلوا ألسنتهم كالسيف. فوّقوا سهمهم كلاما مرّا» (مز 64: 3).

4 – مضايقات معثّرة: «احفظني يا رب من يدي الشرير. من رجل الظلم أنقذني. الذين تفكروا في تعثير خطواتي. أخفى لي المستكبرون فخاً وحبالاً. مدوا شبكة بجانب الطريق. وضعوا لي أشراكاً» (آيتا 4، 5). جعل الشرير حياة المرنم على شفا الهلاك، وتابعه خطوة خطوة ليسقطه بكل أنواع المكائد، «طالبو نفسي نصبوا شركاً، والملتمسون لي الشر تكلموا بالمفاسد، واليوم كله يلهجون بالغش» (مز 38: 12). وحفظ الرب المرنم من أن يعثر، فقال: «الأشرار وضعوا لي فخاً، أما وصاياك فلم أضل عنها» (مز 119: 110). وهذا ما فعله أعداء المسيح عندما «ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة» (مت 22: 15)، ولكنهم عجزوا. وهو ما حدث مع المرنم فقال: «دحرتني دحوراً لأسقط، أما الرب فعضدني» (مز 118: 13).

ثانياً _ طلب الحماية
(آيتا 6، 7)

1 – الحماية من عند الرب: «قلت للرب: أنت إلهي. أصغِ يا رب إلى صوت تضرعاتي» (آية 6). ضايق الأعداء المرنم مضايقات مزعجة، وحاولوا أن يدمِّروا سمعته ويقتلوه، فصرخ يطلب الحماية من «الرب» السيد، صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض، الذي هو في نفس الوقت إلهه الذي يمكن أن يقول له: «حبيبي لي وأنا له» (نش 2: 16). «الإله الذي أنا له والذي أعبده» (أع 27: 23). وما أجمل أن نعلم أنه عندما يضيع الأمان تبقى الصلاة مصدر تشجيع ورفعة للمؤمن فيقول: «لكلماتي اصغ يا رب. تأمل صراخي. استمع لصوت دعائي يا ملكي وإلهي لأني إليك أصلّي» (مز 5: 1، 2). «احفظني يا الله لأني عليك توكلت. قلت للرب: أنت سيدي. خيري لا شيء غيرك» (مز 16: 1، 2). «أما أنا فعليك توكلت يا رب. قلت: إلهي أنت» (مز 31: 14).

2 – الحماية من عند المخلِّص: «يا ربُّ السيد قوةَ خلاصي، ظللتَ رأسي في يوم القتال» (آية 7). في يوم القتال والمعركة واستخدام السلاح خلَّص الرب التقي الصارخ إليه، وظلل رأسه كما بخوذة، فلم تصبه السهام، ولم تجرحه السيوف. وهو يعلم أن الإله القوي الذي خلَّصه وظلله سيخلِّصه ويظلل على رأسه. ويأمرنا الوحي: «خذوا خوذة الخلاص، وسيف الروح الذي هو كلمة الله» (أف 6: 17). وهذا يعني أننا يجب أن نحتمي بالرب القوي للخلاص، وأن نتمسك بكلمته ونخبئها في قلوبنا، ونلهج فيها نهاراً وليلاً، ونقول: «أما نحن الذين من نهار فلنصحُ لابسين درع الإيمان والمحبة، وخوذة هي رجاء الخلاص» (1تس 5: 8).. ويصيب العدو رؤوسنا بالشكوك في محبة الله لنا، ولكن خوذة رجاء الخلاص تؤكد لنا أن الذين في يد الرب لا يمكن أن يخطفهم أحد منه (يو 10: 28، 29). «ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلّص، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع» (إش 59 :1).

ثالثاً _ طلب العدالة
(آيات 8-11)

1 – الشرير لا ينجح: «لا تُعْطِ يا رب شهوات الشرير. لا تُنجِّح مقاصده. يترفَّعون» (آية 8). شهوات الشرير شريرة كلها، فهو يشتهي أن يضر المرنم ويقصد أن يدمر علاقته بالله. لذلك يطلب المرنم من العدالة الإلهية أن لا تعطي الشرير شهوته، ولا تنجح مقاصده، لئلا يتكبر وينتفخ ويترفَّع. وقد مرَّ الرسول بولس باختبار مشابه، فقال لأهل كورنثوس: «فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في أسيّا أننا تثقَّلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً. لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات. الذي نجانا من موت مثل هذا وهو ينجي. الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (2كو 1: 8–10).

2 - الشرير يخزى: «أما رؤوس المحيطين بي فشقاء شفاههم يغطيهم» (آية 9). تكلم الأشرار ضد المرنم التقي، فقال: «سنّوا ألسنتَهم كحيَّة. حُمَةُ الأُفعُوان تحتَ شفاهِهم» (آية 3). وفي انزعاجه من الكلام القاسي طلب من العدالة الإلهية أن تغطي رؤوس هؤلاء الكذبة بالشقاء، جزاء ما قالوه ضده، فيرتد سهمهم إلى صدورهم وينالهم الخزي والخجل. وكأنه يقول: «هوذا يمخَض بالإثم. حمل تعباً وولد كذباً. كرا جبّاً. حفره فسقط في الهوّة التي صنع. يرجع تعبه على رأسه، وعلى هامته يهبط ظلمه» (مز 7: 14-16).

3 - الشرير يهلك: «يسقط عليهم جمر. ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا. رجل لسان لا يثبت في الأرض. رجل الظلم يصيده الشر إلى هلاكه» (آيتا 10، 11). يطلب المرنم من العدالة الإلهية أن توقع العقاب بالأشرار، فإن أجرة الخطية هي موت (رو 6: 23). سيسقط عليهم الجمر والنار كما هلكت سدوم وعمورة (تك 19: 24، 25)، وسيسقطون في غمرات الطوفان كما هلك قوم نوح (تك 7: 11، 12)، وستبتلعهم الأرض كما ابتلعت بني قورح فلا تقوم لهم قائمة (عد 16: 31-33). فلا يمكن أن رجل اللسان الكاذب يثبت في الأرض، لأنها أرض الرب (لا 25: 23) بل يتمُّ فيه القول: «يمطر على الأشرار فخاخاً ناراً وكبريتاً، وريح السَّموم نصيب كأسهم» (مز 11: 6). ولا بد أن رجل الظلم يهلك بظلمه، فيصيده الشر إلى هلاكه، فإن «الشر يتبع الخاطئين، والصدّيقون يُجازَون خيراً» (أم 13: 21).

رابعاً _ طمأنينة المرنم
(آيتا 12، 13)

1 - الرب ينصف المسكين: «قد علمتُ أن الرب يُجري حكماً للمساكين وحقاً للبائسين» (آية 12). علم المرنم من اختباراته السابقة أن الله هو القاضي العادل الذي ينصف كل مظلوم، كما سبق وقال: «الرب يدين الشعوب. اقضِ لي يا رب كحقي، ومثل كمالي الذي فيَّ. لينتهِ شر الأشرار وثبِّت الصدّيق. فإن فاحص القلوب والكلى الله البار» (مز 7: 8، 9). «لأنك أقمت حقي ودعواي. جلستَ على الكرسي قاضياً عادلاً» (مز 9: 4). «الآن عرفت أن الرب مخلّص مسيحه. يستجيبه من سماء قدسه، بجبروت خلاص يمينه» (مز 20: 6). «حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء في يوم أدعوك فيه. هذا قد علمتُه لأن الله لي» (مز 56: 9).

2 – المرنم يسبح الرب: «إنما الصديقون يحمدون اسمك. المستقيمون يجلسون في حضرتك» (آية 13). في طمأنينة المرنم للعدالة الإلهية يحمد اسم الرب، ويشعر بحضوره الدائم معه ويجلس دائماً في حضرته. فإن «المستقيم يبصر وجهه» (مز 11: 7)، «أمامك شِبع سرور. في يمينك نِعَمٌ إلى الأبد» (مز 16: 11). «تفرّحه ابتهاجاً أمامك» (مز 21: 6)، فيقول: «أقمتني أمامك إلى الأبد» (مز 41: 12). «لأن كل من وُلد من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا. من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله؟» (1يو 5: 4، 5)،

ولا يمكن أن يجلس في حضرة الرب إلا الصدّيقون المستقيمون، أصحاب الموقف السليم من الله، الذين يقولون: «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله» (رو 5: 1، 2). وفي النهاية يختبرون: «ولا تكون لعنة ما في ما بعد. وعرش الله والحمل يكون فيها، وعبيده يخدمونه. وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم. ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأن الرب الإله ينير عليهم، وهم سيملكون إلى أبد الآبدين» (رؤ 22: 3-5).